معالجات مراكز البحوث والدراسات الأمريكية والأوروبية للحرب في غزة

د. محمد السعيد إدريس
مستشار مركز الأهرام
للدراسات السياسية والإستراتيجية

تلعب مراكز البحوث والدراسات ، خاصة في الدول الغربية وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية أدواراً مهمة في صنع السياسة الخارجية بهذه الدول . هناك أحزاب بعينها مدعومة من مراكز ثقل مالي واقتصادي لديها مراكز بحوثها الخاصة، وهناك مراكز مستقلة بدرجة ما عن الأحزاب، لكنها مدعومة من منظمات مجتمع مدنى و»لوبيات» كما هو الحال في الولايات المتحدة. هذه المراكز باتت لديها القدرة، بما لديها من خبراء وخبرات علمية متراكمة أن تكون بمثابة «مراكز للتحليل والتنبؤ السياسي وترشيد قرار السياسة الخارجية، لذلك توجه الأنظار دائماً إلى ما يصدر عن هذه المراكز من إصدارات وتحليلات وتقديرات وتنبؤات لفهم ما تفكر فيه الدول والحكومات في الغرب . لذلك يمكن القول ، دون أي تجاوز للحقائق ، أن هذه المراكز، أو على الأقل بعضها ، أضحى شريكاً في صنع قرار السياسة الخارجية ، وفي صنع مفاهيم وتوجهات الرأى العام بما تقدمه لوسائل الإعلام المختلفة من أداء وأفكار وتصورات وتقديرات للمواقف .

الأمر المهم ، الذى يتجاهله البعض ، أن هذه المراكز ، التى قد تبدو مستقلة وغير حكومية، لكنها في الأصل تابعة ومسيطر عليها من المؤسسات المالية والاجتماعية وجماعات المصالح المختلفة التي تتولى تمويلها وإمدادها دائماً بالكوادر البحثية عالية التدريب والكفاءة والتي تُعد بمثابة «رماح اختراق فكري» للعقل الاستراتيجي في تلك المراكز .

بعض هذه المراكز متخصص في قضايا مناطق وأقاليم بعينها، وبعضها متخصص في قضايا بذاتها ، وبعضها يتمتع بدرجة عالية من الثقة والقدرة على التأثير في

عملية صنع قرار السياسة الخارجية ومن أبرزها بالطبع بالنسبة لإقليم الشرق الأوسط «مركز دراسات الشرق الأدنى» شديد التأثير في قرار السياسة الخارجية الأمريكية بالشرق الأوسط ، ومنه خرج أبرز خبراء السياسة الخارجية الأمريكية ومستشاري الرئاسة في البيت الأبيض فيما يتعلق بالشرق الأوسط ، هناك أيضاً «مركز كارنيجي للشرق الأوسط « الذى يقدم رؤى استكشافية وإرشادات مهمة لقضايا الشرق الأوسط ، و»المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية» في المملكة المتحدة ، ومركز «كونراد أديناور» في ألمانيا وغيرها كثير من المراكز المهمة في الولايات المتحدة وأوروبا.

وعلى الرغم من الانحياز المفرط والدعم القوي الذى تقدمه هذه المراكز لكيان الاحتلال الإسرائيلي عند تناولها للقضايا الشرق الأوسطية، وعلى الأخص «القضية الفلسطينية»، إلا أن هذا الانحياز والدعم بلغ ذروته في تغطية هذه المراكز لتداعيات الحدث الجلل الذى وقع يوم السابع من أكتوبر 2023 عندما قامت كوادر المقاومة الفلسطينية بشن هجوم «طوفان الأقصى» على القوات الإسرائيلية ومستعمرات ما يسمى بـ «غلاف غزة» الذى يعيش فيه أشد المستعمرين تطرفاً وعدوانية، وهو الهجوم الذى انتصر فيه المقاومون الفلسطينيون، وألحقوا بقوات الاحتلال الإسرائيلية هزيمة غير مسبوقة «كسرت» أكذوبة «التفوق الإسرائيلي» وخرافة «الجيش الذى لا يقهر» وأعادت مجدداً أمجاد حرب السادس من أكتوبر عام 1973، عندما أثبتت أن العرب «قادرون على الانتصار» إذا امتلكوا أسبابه وأدواته .

لم تتحمل هذه المراكز «سقوط الأسطورة» وقبول حقيقة أن «إسرائيل يمكن أن تهزم» لذلك تحولت، في تعليقاتها وتحليلاتها إلى «أبواق إسرائيلية» تماماً، وقد تجلى ذلك بوضوح شديد في مجالين أولها، تبني «الرواية الإسرائيلية» سواء فيما يخص أصول الصراع وأسبابه، أو ما يخص الرسائل الإعلامية الإسرائيلية التي تتعلق بالحرب التى شنتها إسرائيل، بضراوة، بدعم ومشاركة وتسليح أمريكي، على حساب طمس «الرواية الفلسطينية» لحقيقة الصراع في فلسطين وكونه صراعاً من أجل تحرير الأرض المحتلة، وليس إرهاباً ضد سلطة الاحتلال،

وللدوافع الحقيقية لعملية «طوفان الأقصى» وخلفياتها، وتعمد التجاهل التام لانتصارات المقاومة وصمودها، وهزيمة جيش الاحتلال، وارتكانه في الحرب بعد يوم السابع من أكتوبر على الأسطول الجوي الأمريكي من الأسلحة والعتاد، تماماً كما حدث في حرب السادس من أكتوبر 1973.

وثانيها تركيز كل الاهتمام على معالجة القضايا التى تخدم المصالح الإسرائيلية ، وتؤهل إسرائيل مجدداً للعودة إلى السيطرة ومواصلة الاحتلال، وكيفية إدارتها المستقبلية لقطاع غزة، وربما للضفة الغربية بعد انتهاء الحرب.

يمكننا أن نستعرض ذلك على النحو التالى:

أولاً: معالم الانصياع الكامل للرواية الإسرائيلية

يمكننا تلمس هذا الانصياع من منظورين؛ الأول، هو منظور تبني وإبراز الرؤى، بل والمصطلحات الإسرائيلية للصراع، وخاصة الخطاب السياسي الإسرائيلي طيلة أيام «حرب الإبادة الجماعية» التى شنتها إسرائيل بمشاركة ودعم أمريكيين، والثاني، هو منظور التغطية على الجرائم والأخطاء والتجاوزات الإسرائيلية وعدم التعليق عليها، إضافة إلى التعتيم الكامل على أى انتصار تحققه قوات المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة ضد القوات الإسرائيلية الغازية، وعجز هذه القوات الغازية، رغم ضراوة ما أحدثه الطيران الإسرائيلي والبحرية الإسرائيلية من تدمير و»جرائم ضد الإنسانية» في قطاع غزة ، عن تحقيق الانتصار الذى جاءت من أجله، أو بالتحديد الهدف الاستراتيجي الذى حددته لتلك الحرب وهو «القضاء على حركة حماس»، وهو الهدف الذى تحول إلى «كابوس» يطارد تلك القوات الغازية، على نحو ما سبق أن حدث في حرب يوليو عام 2006 ضد لبنان، عندما أعلنوا أن هدف الحرب هو «القضاء على حزب الله»، وهو الهدف الذي لم يتحقق، وكان عنواناً للفشل الإسرائيلي.

يتجلى هذا كله فيما يلي:

1- خلت التحليلات التى قدمتها معظم هذه المراكز البحثية (الأمريكية والإسرائيلية) من أى إشارة إلى أن «إسرائيل دولة احتلال»، وأنها مطالبة وفقاً للقانون الدولى بالالتزام بكل الواجبات التى يجب أن تقوم بها سلطة الاحتلال

والمنصوص عليها في القانون الدولى وقرارات الشرعية الدولية، وتجاهلت تماماً أن الشعب الذى يعيش تحت الاحتلال من حقه أن يدافع عن نفسه، وأن «المقاومة مشروعة» وأن هذا الشعب يجب أن يتمتع بحق تقرير المصير وتحرير أرضه المحتلة.

غاب تماماً مفهوم «الاحتلال» من الخطاب السياسي لهذه المراكز، وتجاهلت حكم محكمة العدل الدولية الذى يقضي بأن «الدولة المحتلة» (أى التى تقوم بالاحتلال) لا تستطيع استخدام حق الدفاع عن النفس ضد الشعب الواقع تحت الاحتلال، وأن هذا الحق مقتصر على الشعب الواقع تحت الاحتلال .

2- تجاهلت تماماً، في معالجتها لأسباب تفجر هذا الغضب الفلسطيني وعملية «طوفان الأقصى»، كل جرائم سلطات الاحتلال الإسرائيلي من استيطان وقتل واعتقال لعشرات الآلاف من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال، والتسويف، بل والرفض العلني والمطلق، للقرارات الدولية الخاصة بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية على الأرض الفلسطينية التى احتلت عام 1967. لم يرد أي ذكر لـ «قانون القومية» الذي أصدره الكنيست الإسرائيلي الذى نص على أن «كل الأرض الممتدة من نهر الأردن شرقاً وحتى البحر المتوسط غرباً هى أرض ملكاً للشعب اليهودي دون غيره من الشعوب. لم يرد أي ذكر على أن الضفة الرغبية وقطاع غزة أرض فلسطينية محتلة، وجرى تجاهل مقولات بنيامين نتنياهو وغيره من قادة اليمين التوراتي المتطرف بأن كل الحروب التى خاضتها إسرائيل هى «حروب استقلال». غاب هذا كله، ولم ترد إشارة إلى أن الشعب الفلسطيني وصل إلى طريق مسدود وأنه لم يعد أمامه من خيارات في ظل هذه السياسات غير الرحيل من أرضه وتكرار مأساوية اللجوء التى حدثت عام 1948، أو أن يتحول إلى إقليم منزوعة كل الحقوق، وخاصة الحقوق السياسية، وبالذات الحق في الدولة الوطنية المستقلة ذات السيادة، أو الموت، على النحو لاذى ورد مجدداً على لسان وزير الدفاع الإسرائيلي «يوآف جالنت» في ذروة الحرب على غزة (2023/11/1) بقوله «أمام حركة حماس خيارين: الموت أو الاستسلام من دون شروط».

مراكـز البحـوث الغربيـة تجاهلـت هـذا كلـه، وتجاهلـت أن مـن حـق الشـعب الفلسـطيني أن يعيـش، وأن يعيـش بحريـة طالمـا أنـه قـادر عـلى أن يقـاوم، وتبنـت مراكـز البحـوث مـا ورد في الخطـاب السـياسي والإعلامـي الإسرائيـلي مـن أن الـذى حـدث يـوم السـابع مـن أكتوبـر 2023 «إرهـاب» وأن حركـة «حماس» هـى «منظمة إرهابيـة». جـرى التركيـز عـلى «حـماس» دون أى ذكـر للمقاومـة لثلاثـة أسـباب؛ أولهـا اسـتغلال توصيـف بعـض الـدول الغربيـة لحركـة «حـماس» بأنهـا «إرهابيـة» مثلهـا مثـل «حـزب اللـه» وكل مـن يتبنـى «خيـار المقاومـة» دون أدنى تمييـز بـين مـا هـو إرهـاب ومـا هـو «مقاومـة». وثانيهـا، التجاهـل المتعمـد لمصطلـح «المقاومـة» تفاديـاً للتـورط في الإقـرار بـأن «إسرائيـل دولـة احتـلال» وأن الشـعب الفلسـطيني الواقـع تحـت الاحتـلال مـن حقـه أن يقـاوم ، أمـا السـبب الثالـث فهـو تعبئـة الـرأي العـام العالمـي مـع دعـوة أن «مـن حـق إسرائيـل أن تدافـع عـن نفسـها» وأن الحـرب الشرسـة التـى تقـوم بهـا إسرائيـل ضـد قطـاع غـزة هـى «دفـاع عـن النفـس» ضـد «حركـة إرهابيـة» ، عـلى نحـو مـا ورد عـلى لسـان الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن، ووزيـر خارجيتـه انتـونى بلينكـن، الـذى جاهـر في مؤتمـره الصحفـي مـع بنيامـين نتنياهـو في إسرائيـل بعـد سـاعات مـن تفجـر عمليـة «طوفـان الأقـصى» ، بأنـه «ليـس هنـا (فى إسرائيـل) بصفتـه وزيـرا للخارجيـة الأمريكيـة فقـط ، ولكـن أيضـاً بصفتـه يهـودي ابـن يهـودي».

3-تجاهـل دخـول الولايـات المتحـدة للحـرب جنبـاً إلى جنـب مـع إسرائيـل ضـد المقاومـة في قطـاع غـزة، وتجاهـل لحقيقـة مـا ورد عـلى لسـان الرئيـس جـو بايـدن بأنـه «لـن يسـمح بهزيمـة إسرائيـل»، وتجاهـل لتدافـع القطـع البحريـة الأمريكيـة وعـلى رأسـها حاملـة الطائـرات الكـبرى «جـيرارد فـورد»، ومـن بعدهـا حاملـة الطائـرات «ايزنهـاور» والجـسر الجـوي الهائـل مـن الذخائـر والقنابـل الذكيـة الضخمـة القـادرة عـلى التدمـير «الفتـاك»، وصواريـخ «القبـة الحديديـة» لتعويـض إسرائيـل عـن أى خسـائر في المعركـة ولضـمان اسـتمرار الحـرب حتـى تحقيـق أهدافهـا التـى تريدهـا والتـى يريدهـا أيضـاً الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن وهـو «تدمـير حـماس» إلى الأبـد .

كـما جـرى تجاهـل التحذيـرات الأمريكيـة الشـديدة والصريحـة عـلى لسـان الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن ووزيـر الخارجيـة والدفـاع الأمريكيـين لـكل مـن إيـران و»حـزب اللـه» بعـدم التـورط في حـرب في شـمال إسرائيـل وفتـح جبهـة قتـال أخـرى قـد لا تسـتطيع إسرائيـل تحمـل تبعاتهـا، والتلميـح بـأن القـوات الأمريكيـة هـى من سـيكون معنيـا بالـرد عـلى هـذا التـورط في «محاولـة أمريكيـة مسـتميتة» لاحتـواء الخطـر الإيـراني وخطـر حـزب اللـه وتمكـين إسرائيـل مـن الاسـتفراد بالمقاومـة في غـزة دون أى دعـم مـن الحلفـاء.

كـما جـرى تجاهـل التدافـع الدرامـى لقـادة الغـرب، وبسرعـة، عقـب «انكسـار» إسرائيـل يـوم السـابع مـن أكتوبـر 2023، وزيـر الخارجيـة الأمريـكي انتـونى بلينكـن ومـن بعـده رئيسـه جـو بايـدن بملابـس الحـداد، وحضـور بايـدن اجتـماع «مجلـس الحـرب» (الكابينـت) في إسرائيـل لتقريـر الـرد عـلى هـذا الانكسـار الـذى حـدث وعـدم القبـول بـه، بـل والانتقـام الشـديد في محاولـة لترميـم «الصـورة الذهنيـة» التـى جـرى الترويـج لهـا سياسـيا وإعلاميـا غربيـا وإسرائيليـا عـن إسرائيـل بأنهـا القـوة التـى لا تقهـر. بعدهـما وصـل المستشـار الألمـاني ، ثـم الرئيـس الفرنـسي ثـم رئيـس الـوزراء البريطـاني، كلهـم جـاءوا إلى إسرائيـل لتأكيـد التضامـن معهـا والتأكيـد عـلى رفـض هزيمتهـا، ودعـم كل مـا تقـوم بـه مـن عـدوان غـير مسـبوق عـلى قطـاع غـزة جـرى اعتبـاره «دفـاع عـن النفـس ضـد الإرهـاب».

موقـع Arab Digesx الصـادرة باللغـة الإنجليزيـة (2023/10/17) فضـح هـذا كلـه في تقريـر نـشره بعنـوان «الإبـادة الجماعيـة التـى تمارسـها إسرائيـل في غـزة»، تحـث عـن حالـة «اسـتنفار» غربيـة غـير معهـودة ضـد مـا أسـموه بــ «ذبـح حـماس للمدنيـين»، قابلتهـا حالـة تجاهـل غـير مسـبوقة لعمليـات «الانتقـام والعقـاب الجماعـي عـلى 2.1 مليـون مـدني في غـزة». فوفقـا لهـذا التقرير «صرخـت الحكومات الغربيـة بصـوت عـال عـلى الأولى، بينـما ظلـت صامتـة، إلى حـد كبـير، عـلى الثانيـة».

أفـرد هـذا التقريـر صفحـات لفضـح هـذا «العقـاب الجماعـى» الـذى صمـت عنـه مراكـز البحـوث والدراسـات الغربيـة والـدول الغربيـة وحكوماتهـا في مجملهـا عـلى العكـس مـن مواقـف مختلفـة مـن شـعوبها . ذكـر التقريـر أمثلـة لهـذا العقـاب

الجماعي من قطع المياه والوقود والغذاء والكهرباء والإمدادات الطبية، وطلب من 1.2 مليون فلسطيني مغادرة منازلهم في شمال غزة والانتقال جنوبا، ويؤكد التقرير أن ما حدث وما يحدث يعتبر «حالة إبادة جماعية نموذجية» في ظل القصف الممنهج الذى دمر بالكامل شمال قطاع غزة ومناطق أخرى واسعة على رؤوس سكانها، دون استثناء للمستشفيات والمدارس ومواقع الإيواء للمدنيين من نساء وشيوخ وأطفال . وقدم هذا التقرير المهم الذى يعتبر «وثيقة إدانة» للسلطات الغربية الحاكمة ولمراكز البحوث والدراسات المعنية بمتابعة تلك الأحداث ، مجموعة من التصريحات التى تعد شهادات على صدقية «هذه الإبادة الجماعية» لأهالي قطاع غزة، منها ما ورد على لسان وزير الدفاع الإسرائيلي «يوآف جالنت» (2023/10/9) بقوله : «إننا نفرض حصارا كاملا على قطاع غزة.. لا كهرباء ، لا طعام ، لا ماء، لا وقود ، كل شئ مغلق، نحن نقاتل حيوانات بشرية وسنتصرف وفقا لذلك». وفي إشارته عن الأشخاص المدنيين السلميين المحاصرين في قطاع غزة قال الرئيس الإسرائيلي «اسحاق هيرتزوج» أن «الأمة بأكملها (يعني كل شعب فلسطين) هى المسئولة.. وسوف نقاتل حتى نكسر عمودهم الفقرى .. نحن نخوض حرباً دينية هنا (هكذا..) أنا مع إسرائيل. أفعل ما عليك فعله بحق الجحيم للدفاع عن نفسك».. أما «نيكى هيلي» المرشحة الرئاسية عن الحزب الجمهوري الأمريكي ورئيسة الوفد الأمريكي (السابقة) بالأمم المتحدة» فخاطبت الإسرائيليين قائلة : «أقضوا عليهم» في إشارة إلى «حماس» أما رئيس الحكومة البريطانية «ريشي سوناك» فتحدث عن مقاتلي المقاومة بقوله «إنهم ليسوا مسلحين.. إنهم ليسوا مقاتلين من أجل الحرية، إنهم إرهابيون».

تجاهلت مراكز البحوث والدراسات الغربية هذا كله، والأكثر أيضاً أنها تجاهلت ما نشره «المركز الدولي للعدالة من أجل فلسطين» (ICJP) الذى يشارك مديره النائب «كريسبين بلانت» والرئيس السابق للجنة الشئون الخارجية بمجلس العموم البريطاني ووزير العدل السابق (السبت 2023/10/14) أن «حكومة المملكة المتحدت قدمت المساعدة العسكرية، والدعم الاقتصادي

والسياسي، والآن بعد أن تم ارتكاب (جرائم حرب) ، فإن استمرار هذا الدعم والمساعدة يعني أن مسئولي حكومة المملكة المتحدة سيكونون متواطئين في ارتكاب جرائم حرب ، وربما جرائم حرب ضد الإنسانية. هذا التواطؤ المعروف رسميا باسم «المساعدة والتحريض» على جرائم الحرب، قد يعني أن مسئولي حكومة المملكة المتحدة «مسئولون جنائيا، بشكل فردي عن انتهاك القانون الدولى». لم يكتف هذا المركز بذلك فقط ولكنه نص في تقريره بخصوص «حرب غزة» أنه «لقد حان الوقت الآن لكي يستقيل السفراء والقناصل الغربيون، وغيرهم من المفوضين من ذوي الضمير الحي الذين لا يرغبون في التورط في الإبادة الجماعية، علنا وعلى الفور، لأنه، عندما ينتهي الأمر، لا يستطيع أحد أن يقول (لم أكن أعرف) أو (كنت أعرف: فقط اتبع الأوامر).

مراكز البحوث والدراسات الغربية الأمريكية والأوروبية كانت بعيدة عن هذا تماما، في تجاهل مريب يكشف انحيازها هى الأخرى، ومثال على ذلك أن المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية (IISS) أشهر المراكز البريطانية عندما اجتهد وقدم تقييما للحرب في غزة (2023/10/10) في تقرير بعنوان «خبراء المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية يقيمون الحرب بين حماس وإسرائيل وتداعياتها الدولية» خلص إلى القول «أن الأزمة السياسية الداخلية في إسرائيل أدت إلى إصابة إسرائيل بالشلل، وهددت هوية البلاد، كما استهلكت المؤسسة السياسية والقيادة العسكرية وأجهزة الاستخبارات ، وهو ما ظهر في هجوم حماس الجرئ على جنوب إسرائيل». اكتفى التقرير بتداعيات الحرب على إسرائيل وخسائرها ، دون إدانة للجرائم ودون أي مطالبة بفك أسر الشعب الفلسطيني في غزة، وقال في «تحسر» وخيبة أمل: «أسفر هجوم حماس عن تلاشي أي أمل لإبرام اتفاق بين السعودية وإسرائيل» ، و»قلق دول الخليج من أن يمتد الصراع إليها أو أن يؤدي غزو بري إسرائيلي للقطاع إلى تورط «حزب الله»، وهو ما قد يدفع الولايات المتحدة إلى التدخل، وقد ينتج عنه استهداف إيران القواعد الأمريكية في منطقة الخليج».

التقرير يتحدث من منظور الخوف على إسرائيل والتحسب للخسائر التى

يمكـن أن تتعـرض لهـا، أمـا الطـرف الآخـر الفلسـطيني فهـو «مغيـب» تمامـاً مـن أي اعتبـار. وهكـذا كان حـال باقـي مراكـز البحـوث والدراسـات الغربيـة في تقاريـر تغطيتهـا للحـرب الإسرائيليـة في غـزة وإنحيـاز مطلـق لإسرائيـل، وتبريـر لجرائمهـا ، وأعطاهـا زيفـا «حـق الدفـاع عـن النفـس» ضـد شـعب تحتـل أرضـه ويريـد أن يحررهـا ويحقـق اسـتقلاله وحريتـه.

ثانياً: الموقف من القضايا التي تخدم المصالح الإسرائيلية

اهتمـت مراكـز البحـوث والدراسـات الأمريكيـة والأوروبيـة بمعالجـة القضايـا التـى تخـدم المصالـح الإسرائيليـة متجـاوزة، كـما أشرنـا، جـذور الـصراع في سـنوات مـا قبـل «طوفـان الأقـصى» ومسـئولية إسرائيـل عـن ذلـك . مـن أهـم تلـك القضايـا يمكننـا أن نشـير إلى الآتى:-

1- ضرورة مراجعة استراتيجية الردع الإسرائيلية.

انتقـد «معهـد واشـنطن لدراسـات الشرق الأدنى»، شـديد الـولاء لإسرائيـل، في مقال لـه (2023/10/10) تحـت عنـوان: «إسرائيـل ركـزت عـلى التهديـد الإيـراني الخاطـئ وكانـت نتائجـه مميتـة» ورد بـه أن هجـوم «حـماس» غـير المسـبوق عـلى إسرائيـل يشـكل «حدثـاً فاصـلاً»، ليـس فقـط مـن منظـور «الفشـل الاسـتخباراتي» ، ولكنـه أيضـاً مـن منظـور التداعيـات طويلـة الأمـد عـلى اسـتراتيجية الـردع الإسرائيليـة، وخاصـة التركيـز الخاطـئ عـلى اسـتراتيجية «الحـروب بـين الحـروب» التـى لطالمـا اعتمدتهـا إسرائيـل، وهـى الاسـتراتيجية التـى تهـدف إلى تقييـد خصومهـا مـن «وكلاء إيـران» مـن خـلال العمـل الحـركي المحـدود.

فقـد أثبـت هجـوم «حـماس» خطـأ هـذه الأولويـة، كـما أثبـت أيضـا خطأ سياسـة «المـال مقابـل التهدئـة» في غـزة القائمـة عـلى فكـرة أن «حـماس» تهتـم فعليـا بحكـم المنطقـة وحريصـة عـلى التهدئـة. لم تعـط إسرائيـل أولويـة لمعالجـة القضايـا الفلسـطينية التـى اختمـرت وتفاعلـت إلى أن أدت إلى هجـوم «طوفـان الأقـصى».

انتقـد المقـال تركيـز المؤسسـة السياسـية والأمنيـة الإسرائيليـة، بشـكل دقيـق، عـلى التهديـد الـذى يشـكله البرنامـج النـووي الإيـراني، وكذلـك مواقـع العمليـات الأماميـة الإيرانيـة في سـوريا . في ذات الوقـت القيـام بعمليـات واسـعة النطـاق ضـد «حماس»

و»حـزب اللـه» اللبنـاني، لأن إسرائيـل اعتـبرت أن السـلاح النـووى الإيـراني يشـكل تهديـداً «وجوديـاً» ، بينـما اعتـبرت أن «حـزب اللـه» و»حـماس» تحديـا تكتيكيـا .

اهتـم المقـال بالتأكيـد عـلى أن «حـماس» باتـت مـن بـين وكلاء إيـران، وأن هجومهـا في السـابع مـن أكتوبـر عـلى إسرائيـل سـيضعها في «مرتبـة أعـلى» عنـد سـكان غـزة، الذيـن أثبتـت اسـتطلاعات الـرأي التـى أجريـت عليهـم قبـل أشـهر مـن ذلـك الهجـوم «تـدني شـعبية حـماس» بهجومهـا اسـتعادت «حـماس» هـذه الشـعبية، فضـلا عـن انجـاح رهـان إيـران عـلى أن هـذا الهجـوم سـيؤدي إلى «إحباط التطبيـع المحتمـل بـين إسرائيـل والسـعودية». لذلـك طالـب المقـال، مـن منظـور الحـرص الشـديد عـلى إسرائيـل ومصالحهـا، ضرورة أن تقـوم إسرائيـل بإعـادة النظـر في «اسـتراتيجية الـردع» التـى تتبناهـا، او «عقيـدة الضاحيـة» التـى تعتمـد عـلى التهديـد بقصـف لبنـان أو غـزة وإعادتهـما إلى العـصر الحجـري، وكذلـك الحـال بالنسـبة إلى الهدنـات التكتيكيـة، عـلى غـرار تلـك التـى سـعت إليهـا إسرائيـل مـرارا وتكـرارا في السـنوات الأخـيرة مـع «حـماس» وسـيتعين عـلى إسرائيـل، كـما يـوصي المقـال، بـأن تتبنـى «نهجـا أكـثر اسـتباقية في تعاملاتهـا مـع وكلاء إيـران عـلى حدودهـا، ويجـب أن تسـتمر الحملـة في غـزة بعـد مراحلهـا الأوليـة باسـتخدام ذخائـر موجهـة بدقـة للحـد مـن الإصابـات في صفـوف المدنيـين، وسـيتعين عليهـا أيضـاً أن تفكـر في تغيـير مبادئهـا التوجيهيـة الحاليـة بشـأن الاشـتباكات العسـكرية الحركيـة في الأراضى اللبنانيـة».

2- نزع يد إيران عن القضية الفلسطينية

اهتمـت مدونـة «ديـوان» التابعـة لمركـز «مالكـوم كـير- كارنيجي للشرق الأوسـط» بالبحـث في كيفيـة تمكـين إيـران، بمسـاعدة حلفاءهـا، بنـزع يـد إيـران عـن القضيـة الفلسـطينية باعتبـار أن سـيطرة إيـران عـلى القـرار الفلسـطيني عـبر «وكلاء إيـران مـن المنظـمات الفلسـطينية وتداعـي سـيطرة السـلطة الفلسـطينية» مـن أخطـر مـا سـيواجه إسرائيـل مـن تحديـات بعـد انتهـاء الحـرب عـلى غـزة، خصوصـاً إلى مـا اسـتطاعت حركـة «حـماس» وحلفاءهـا خاصـة «الجهـاد الإسـلامي» مـن أن تفلتـا مـن التدمـير الإسرائيـلي والنجـاة ومعـاودة تجديـد المواجهـة .

فقد نشرت هذه «المدونة» تقريرا بتاريخ 2023/10/9 بعنوان «طهران تضع يدها على القضية الفلسطينية» وصل فيه الكاتب إلى استخلاص من وقائع عملية «طوفان الأقصى» مفاده «استيلاء إيران على القضية الفلسطينية»، وأنه ما من شك أن تكتيكات «حماس» جرت بالتنسيق مع إيران وحزب الله، ومشيرا إلى أن الهجوم الذى شنته حماس «مرتبط باتفاق سلام بدا وشيكا بين الرياض وإسرائيل».

يلمح الكاتب أن عملية «طوفان الأقصى» هى انعكاس وتعبير عن تراكم تفاعلات صراع اليأس مع الأمل في الشارع الفلسطيني، ما بين تداعى السلطة الفلسطينية ورموزها خاصة الرئيس محمد عباس الذى تدنت شعبيته إلى أدنى مستوياتها على الإطلاق مقابل أن نسبة 55% من الفلسطينيين تؤيد عودة الانتفاضة المسلحة وفقا لاستطلاع أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية (يونيو 2022).

وفى مقابل ذلك تتابع إيران وحزب الله، عن كثب، الاستياء السائد في «المناطق الفلسطينية»، وقد «سعيا إلى تشكيل سردية مضادة في وجه عملية السلام وحل الدولتين» فهما يريدان إظهار أن «إسرائيل يمكن أن تهزم، وأن ما يحتاجه الفلسطينيون هو قيادة قادرة على تحقيق هذا الطموح».

وبناء على ذلك يرى الكاتب أن إيران منخرطة في عملية من ثلاث مراحل تتمثل في إضعاف فتح، وتوفير نموذج بديل للنشاط الفلسطيني، ودفع حماس إلى الواجهة باعتبارها منظمة قادرة على أن تصبح، في نهاية المطاف، «الممثل الأساسي للشعب الفلسطيني.. وسيتأكد ذلك إذا ما قادت حماس مفاوضات للإفراج عن الأسرى الفلسطينيين مقابل من لديها من أسرى إسرائيليين بعد انتهاء الحرب. إذا نجحت حماس ، في تحرير الأسرى، كما يقول الكاتب، ستصبح دون منازع قيادة فلسطينية» والخلاصة كما يقول الكاتب أن الإيرانيين يعملون ببساطة على استغلال الطريق المسدود الذى بلغته معادلة «الأرض مقابل السلام» طيلة العقود الماضية ، بسبب سياسة إسرائيل في تجاوز «حل الدولتين» إلى غير رجعة، من خلال رفض إقامة دولة فلسطينية، وانشغالها في

ضـم لمزيـد مـن أراضي الضفـة الغربية، ما أدى بالفلسـطينيين إلى «الشـعور بالسـخط العـارم نتيجـة غيـاب أي أفـق أمامهـم سـوى القبـول بالخضـوع ، لأجـل غير مسـمى، للاحتـلال الإسرائيـلي»، وهـو الشـعور الـذى تفاقـم مـع توقيـع دول عربيـة لمـا سـمى بــ «الاتفـاق الإبراهيمـي» مـا أدى بهـم إلى إدراك أن «أخـوة لهـم تخلـوا عنهـم».

كل ذلـك جعـل الفـرص مواتيـة لطـرح «خيـار المقاومـة» لــ «سـلام ليـس لـه أفـق إلا المزيـد مـن الخضـوع».

مـن كل مـا تقـدم يطالـب الكاتـب إسرائيـل بمراجعـة سياسـاتها في الأراضي المحتلـة وإعـادة الاعتبـار لــ «خيـار السـلام» الـذى أضحـى في نفـق مظلـم بعـد عمليـة «طوفـان الأقـصى».

3- احتواء احتمال التورط في حرب إقليمية

اتفـق أكـثر مـن مركـز للدراسـات خاصـة في الولايـات المتحـدة عـلى خطـورة توسـع الحـرب الدائـرة في غـزة وتحولهـا إلى «حـرب إقليميـة» محـدودة بدخـول حـزب اللـه وباقـي «وكلاء إيـران» الإقليميـين فيهـا في حـال تعـرض حركـة حـماس لخطـر «الإبـادة» الـذى تـصر عليـه إسرائيـل، أو إلى «حـرب إقليميـة واسـعة» بمشـاركة إيـران، كـما اتفقـوا عـلى ضرورة تفـادي هـذا الخطـر والحيلولـة دون حدوثـه، لكـن الاختـلاف كان موجـوداً بخصـوص السـبيل إلى تفـادي هـذا الخيـار. فبينـما انحـاز «مركـز مالكـوم كـير- كارينجـي للـشرق الأوسـط» في تحليـل لمدونـة «ديـوان» كتبـه «مايـكل يونـج» (2023/10/16) إلى خيـار الحـل الدبلومـاسي عـبر مسـار جديـد للتفـاوض وخصوصـاً عـبر أدوار لـكل مـن قطـر ومـصر، اختـار «معهـد واشـنطن لدراسـات الـشرق الأدنى» في مقـال كتبـه ديفيـد شـنكر (2023) لخيـار «الـردع القـوي» الأمريـكي لإيـران وحـزب اللـه لمنعهـما مـن التـورط في حـرب إقليميـة.

فتحـت عنـوان «هـل ستشـعل غـزة جبهـات الـشرق الأوسـط» كتـب مايـكل يونـج في مدونتـه «ديـوان» التابعـة لمركـز «مالكـوم كـير- كرنيجـي للـشرق الأوسـط» متسـائلاً: «إذا تطايـرت شرارة الحـرب عـلى غـزة إلى لبنـان ، فهـل سـيصبح الـصراع الإقليمـي أمـرا واقعـا لا مفـر منـه»؟

الكاتـب أشـار إلى أن كل المكونـات جاهـزة لإشـعال انفجار كبير في الشرق الأوسـط .

فالحكومة الإسرائيلية تنوي إنهاء وجود حركة «حماس» في غزة، ومحور المقاومة سيتدخل على نحو شبه مؤكد من الجبهتين اللبنانية والسورية للحفاظ على قوة الردع وحماية «حماس» التى تشكل رصيدا سياسيا وعسكريا مهما لإيران في المنطقة. والولايات المتحدة تبدو عازمة على الدفاع عن إسرائيل مهما كان الثمن، ما يعنى أن قد تضطر للانخراط بشكل مباشر في الصراع للحفاظ على نفوذها الإقليمي .

رغم ذلك يميل الكاتب إلى أن «إذا كان الخيار في يد إيران، ستكون إيران حريصة على الحفاظ على سلامة حلفائها وعدم توريطهم في حرب قد تدمر قدراتهم، حرصاً على أن تبقى هذه القدرات رصيدا داعما لإيران في أي صراع قد تضطر له مع أمريكا أو إسرائيل مستقبلا، ويخرج الكاتب من ذلك أن حزب الله لن يكون حريصا على الدخول في حرب واسعة مع إسرائيل (حديث حسن نصر الله) الأمين العام لحزب الله يوم الجمعة 2023/11/3 كان أميل لهذا الخيار مكتفياً بأن حزب الله في حالة حرب فعلاً مع إسرائيل منذ يوم 2023/10/7 وانطلاقاً من هذا الإدراك يدفع الكاتب بأولوية «المسار الدبلوماسي « مشيرا إلى أن مصر وقطر باستطاعتهما الدفع بهذا الخيار.

على العكس من ذلك انحاز «ديفيد شنكر» في مقاله المنشور على موقع «معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط» بعنوان «مخاطر اندلاع حرب أوسع نطاقا مع إيران ووكلائها» إلى تدعيم وتقوية «خيار الردع العسكري» من جانب الولايات المتحدة لمنع إيران وحزب الله من التورط في حرب ضد إسرائيل .

هنا يقول أن «توسيع نطاق الانتشار البحري الأمريكي ليس كافيا لتعزيز الردع ضد إيران في المنطقة». وأنه «على الولايات المتحدة، الرد بشكل حاسم أيضاً على الهجمات التى تنفذها ميليشيات إيران بالوكالة على قواتها وزيادة الضغط الاقتصادي على طهران».

ويحلل الكاتب أهمية الضغوط الاقتصادية لكنه يصل في النهاية إلى أنها «ليست كافية» وأن «القوة العسكرية هى الأكثر فعالية» من الأدوات المالية .

4- التوقف عن التحريض على سياسة التهجير إلى مصر

اتفق عدد من مراكز البحوث الأمريكية المهمة على نقد دعوة «تهجير» أهالي غزة إلى سيناء المصرية وأبرزت خطورة ما ورد على لسان كل من «يو آف جالنت» وزير الدفاع و«داني إيالون» نائب وزير الخارجية السابق بهذا الخصوص، سواء على مستقبل الصراع الإسرائيلي- الفلسطيني أو مستقبل العلاقة مع مصر والدور المأمول من مصر بعد توقف الحرب.

فقد استهل موقع «Arab Digest» الصادر في لندن باللغة الإنجليزية (2023/10/16) في مقال بعنوان «خيال الحل النهائي لغزة» بنشر ما ورد على لسان وزير الدفاع الإسرائيلي يو آف جالنت عن حظر الماء والغذاء والكهرباء عن غزة في الحرب ضد من أسماهم بـ «الحيوانات البشرية» في غزة، وأكمله بما ورد على لسان دان أيالون عن محورية «تهجير أهالى غزة إلى سيناء» ومخاطبته أهالي غزة «أذهبوا إلى صحراء سيناء.. المجتمع الدولي سوف يبني لكم مدنا ويزودكم بالطعام، وعلى مصر أن تلعب.. فالفكرة مي ملعبها».

وأورد المقال أن مصر رفضت هذا الاقتراح على الفور، حيث تم تقديم اقتراح إنشاء ممر إنساني كبديل أكثر قبولاً، حيث تتدفق المساعدات إلى القطاع دون نزوح جماعي للمدنيين، وكان رد الفعل الإسرائيلي، كما أشار المقال هو «التهديد بقصف شاحنات المساعدات القادمة من مصر» انحاز المقال إلى هذا الرفض المصري وأوضح أن اقتراح التهجير «لا يظهر جهلا تاماً بالسياسة المصرية والفلسطينية فحسب ، بل تفوح منه رائحة المفاهيم (الاستشراقية) للعالم العربى» وحذر من التمادي الإسرائيلي في هذا التوجه، ومن التلويح لمصر بـ «صفقة تخفيف الديون» مشيراً إلى أن «اقتراح إعادة توطين الفلسطينيين في سيناء، وهو (تطهير عرقي) هائل يفترض أن الرئيس السيسي يعمل في فراغ وأنه قادر، بطريقة أو بأخرى ، على اتخاذ القرارات دون الحاجة إلى التفاوض مع قاعدته الشعبية .

انتقد المقال بشدة موقف «الداعمين لمصر» الذين ينحازون إلى فكرة «التهجير» دون النظر إلى تأثيرها «الكارثي» على الأوضاع الداخلية في مصر،

كـما انتقـد تعامـل هـذه الدعـوة مـع الفلسـطينيين عـلى أنهـم مجـرد «دمـى» وتجريدهـم مـن إنسـانيتهم مـرة أخـرى ومعاملتهـم مثـل بيـادق عـلى «رقعـة شـطرنج جيـو- سياسـية» كـبرى، اسـتناداً لمـا يـروج لـه وزيـر الماليـة الإسرائيـلي «بتسـلئيل سـموتريش» الـذى أدعـى أن الفلسـطينيين «ليـس لهـم وجـود تاريخـي أو ثقافـة فلسـطينية ، ولا يوجـد شـئ اسـمه شـعب فلسـطين».

واعتـبر المقـال أن اقـتراح «الممـرات الآمنـة» وهـو تعبـير ملطـف لـ «التطهـير العرقـي»، يظهـر مـدى عـدم كفـاءة عمليـة صنـع السياسـة الغربيـة عندمـا يتعلـق الأمـر بالـصراع الفلسـطيني – الإسرائيـلي.

واتفقـت دراسـة أعدهـا ثلاثـة مـن خـبراء «معهـد واشـنطن لسياسـات الـشرق الأدنى» (2023/10/24) مـع الاسـتخلاص أعـلاه بعنـوان: «لمـاذا لـن تفتـح مـصر الحـدود أمـام جيرانهـا الفلسـطينيين» واتفـق هـؤلاء الخـبراء عـلى ضرورة الإنصـات للمخـاوف المصريـة بشـأن تدفـق اللاجئـين المطروحـة، وشـددوا عـلى تحذيـرات الرئيـس عبـد الفتـاح السـيسي بهـذا الخصـوص خاصـة قولـه أن «نقـل الفلسـطينيين إلى سـيناء سـيحولها إلى نقطـة انطـلاق لهجـمات ضـد إسرائيـل مـما يثـير ردود فعـل إسرائيليـة انتقاميـة، ويشـعل حربـا بـين البلديـن، ويقلـب أطـول فـترة سـلام بـين إسرائيـل وأي دولـة عربيـة».

رفـض هـذا الاقـتراح مـن أكـثر من مقال ودراسـة بهـذه المراكـز دافعه هـو «الخوف عـلى إسرائيـل» والحـرص عـلى عـدم خسـارة مـصر كطـرف أسـاسي في عمليـة السـلام عـلى نحـو مـا ورد في مقـال نشرتـه مجلـة «فوريـن بوليـسي» (2/10/24ي2023) بعنـوان «لا يسـتطيع العـالم حـل الحـرب بـين إسرائيـل وحـماس بـدون مـصر».

فقـد أوضـح هـذا المقـال أنـه «بينـما لا تـزال إسرائيـل وحـماس عالقتـين في الـصراع فـإن الأضـواء الدبلوماسـية تتحـول نحـو مـصر» ومشـيرا إلى أنـه إذا كان دور مـصر قـد عـانى مـن تهميـش مؤقـت قبـل الحـرب الحاليـة فـإن الآن أضحـى قويـا ومطلوبا أكـثر مـن أي وقـت مـضى، وأن مـصر «كانـت وسـتظل لاعبـا أساسـيا».

وبعـد اسـتعراض مطـول لأداء الدبلوماسـية مـع الأزمـة في غـزة ومجمـل تطـورات القضيـة الفلسـطينية طالـب المقـال بأهميـة الوعـى بالـدور المـصري المقبـل مؤكـداً

أن مـصر «سـتكون لاعبـا حيويـا بشـكل متزايـد، إذا بحثـت جميـع الأطـراف عـن مخـرج للأزمـة في الأسـابيع والأشـهر المقبلـة».

وأنـه نتيجـة لهـذا فمـن الأفضـل للولايـات المتحـدة «أن تعمـل مـع مـصر بـدلا مـن محاولـة تهميشـها».

5- ترتيبات ما بعد الحرب

اهتمـت مراكـز البحـوث والدراسـات الإسرائيليـة بـأن تقـدم لإسرائيـل نمـاذج للتفكـير بشـأن ترتيبـات المسـتقبل في مرحلـة مـا بعـد الحـرب . مـن أهم الإسـهامات بهـذا الخصـوص التحليـل الصـادر عـن «معهـد واشـنطن لدراسـات الـشرق الأدنى» لثلاثـة مـن أهـم وأبـرز خبرائـه وخـبراء ومستشـارى إدارات أرميكيـة سـابقة هـما روبـرت سـاتلوف الـذى يعمـل الآن مديـراً تنفيذيـاً بالمعهـد ودينيـس روس الـذى يعمـل حاليـاً أيضـاً مستشـاراً وزميـلاً في المعهـد، وسـبق أن عمـل مسـاعداً للرئيـس الأسـبق بـاراك أوبامـا، وديفيـد ماكوفسـكي، مديـر مـشروع عمليـة السـلام في الـشرق الأوسـط بمعهـد واشـنطن لدراسـات الـشرق الأدنى. التحليـل بعنـوان «أهـداف الحـرب الإسرائيليـة ومبـادئ الإدارة في غـزة في مرحلـة مـا بعـد حـماس».

يتضـح مـن عنـوان التحليـل أنـه يرتكـز عـلى فرضيـة أساسـية واحـدة هـى «انتهـاء حركـة حـماس» مـن منظـور كونهـا حاكـما سياسـيا لقطـاع غـزة، رغـم أن كتـاب التحليـل أقـروا بصعوبـة تحديـد أهـداف إسرائيليـة للحـرب الحاليـة بخصـوص مرحلـة مـا بعـد انتهـاء الحـرب، نظـراً لأنـه «لا ينبغـي ان يتـم تحديـد الأهـداف إلا بعـد النـصر في سـاحة المعركـة».

رغـم هـذه الصعوبـة فـإن الكتـاب انطلقـوا مـن فرضيـة النـصر الإسرائيـلي وهزيمة حـماس وحـددوا لإسرائيـل ثلاثـة أهـداف يجـب أن تسـعى إلى تحقيقهـا بعـد انتهـاء الحـرب هى:

أ- ضمان عدم قدرة «حماس» على شن هجمات في المستقبل .

ب- اسـتعادة ثقـة الإسرائيليـين بقـدرة حكومتهـم وجيشـهم على توفير الأمـن لهم .

جـ- إعـادة تأسـيس قـوة الـردع الإسرائيليـة بنظـر الأصدقـاء والخصـوم في جميـع أنحـاء الـشرق الأوسـط .

وأوضح التحليل أن إنهاء حكم «حماس» لا يعني القضاء على كل مؤيد لها أو كل رمز عن نفوذها، واعترف التحليل أن النصر لن يكون سريعا أو سهلا في حرب محددة الهدف، وأن الدور الأمريكي في هذه الأهداف يكتسي ثلاثة أبعاد هى:

أ- مساعدة إسرائيل على تحقيق هذا الهدف بأقل تكلفة ممكنة من ناحية التسبب بإصابات في صفوف المدنيين الفلسطينيين (الأحداث تجاوزت هذا التحفظ في ظل آلاف الشهداء والمصابين من المدنيين الفلسطينيين).

ب- ردع أعداء إسرائيل الآخرين لكي تتمكن إسرائيل من التركيز على تحقيق النجاح بأسرع وقت ممكن.

جـ- مساعدة الإسرائيليين والفلسطينيين على البدء بالتخطيط لسد فراغ الحكم في غزة بعد حماس .

هنا تتجه الأنظار بـ «حسرة» نحو السلطة الفلسطينية فهى، من وجهة نظرهم بـ «حسرة» نحو السلطة الفلسطينية فهي، من وجهة نظرهم المطالبة بملء هذا الفراغ، لكنها من ناحية الواقع تفتقر إلى مؤهلات هذا الدور، فضلا عن أنها تفتقر، أيضا من وجهة نظرهم إلى «الإرادة والقدرة» ومن هنا جاء التفكير في ما أسماه التحليل بـ «إنشاء إدارة مؤقتة لإدارة غزة» وأن هذه الإدارة يجب أن تقوم على ثلاث ركائز أساسية: إدارة مدنية ، وجهاز للسلامة العامة، وإنفاذ القانون عبر وحدات عسكرية تابعة للدول العربية مدعومة بتحالف دولي لإعادة الإعمار والتنمية ويقترح التحليل أن يتولى توجيه السلامة العامة وإنفاذ القانون «اتحاد» من الدول العربية الخمس التى أبرمت اتفاقات سلام مع إسرائيل وهى: مصر والأردن والإمارات العربية والبحرين والمغرب.

هذا التحليل المهم الذى نختتم به هذه القراءة لمعالجة مراكز البحوث والدراسات الأمريكية والأروبية للحرب الدائرة في قطاع غزة، يكشف حقيقة أدوار هذه المراكز في خدمة الاستراتيجيات العليا لبلادها، ويكشف أن بعضها خاصة معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى يتجاوز، في أدائه لوظائفه ، هذا الإطار ليتحول إلى مركز خبرة لكيان الاحتلال الإسرائيلي يقدم النصائح ، ويقترح الحلول للأزمات ضمن التزام مؤكد بالولاء لهذا الكيان .